برحيله فقد التراث اليمني أحد محبيه الأوفياء

ميشـائيل .. الصـديق الإنسـان

عبدالباسط النوعة

> نشعر بالآسى والحزن الذي سيظل يلازمنا كلما ذكرنا ماحدث في مجمع العرضي الخميس الماضي، جريمة هزت عروش قلوبنا واوجعت كل يمني غيور على وطنه، دماء اريقت بطريقة متوحشة تتنافى مع كافة القيم تمشي في اتجاه معاكس لشريعتنا الاسلامية الغراء التي جعلت دماء المسلمين محرمة أكثر من حرمة الكعبة نفسها،إذن هل يمكن أن يكون من ارتكبوا هذه الجريمة البشعة مسلمين يشهدون لله بالوحدانية،ساعات عصيبة مرت على أناس لا ذنب لهم سوى أنهم تواجدوا في مكان اعتقدوا فيه نهاية لمعاناتهم وآلامهم يطلبون العيش ويحرصون عليه دون أن يدروا أن ذئاباً متوحشة ستنقض عليهم لتسلبهم ما جاءوا في طلبه.

ذئاب بشرية غزت مستشفى العرضي المليء بالأمراض والأطباء والممرضين نساء ورجالا وكأنهم في رحلة صيد بغابة موحشة أخذوا يصطادون فرائسهم المستضعفة دون تمييز .

في مشفى العرضي انتهت حياة الكثيرين يمنيين وأيضاً أجانب جاءوا إلى اليمن أياديهم ممدودة بالخير وصدورهم ممتلئة بالعطاء . كان من بينهم رجل عرفته إنساناً محباً لليمن وأهله معجباً بحضارته وتاريخه .

السيد ميشائيل نيبلونج المدير الإقليمي للوكالة الألمانية للتعاون الدولي باليمن " giz " الذي دخل المشفى للاستطباب من جلطة خفيفة داهمته أثناء العمل، لم يكن يعلم أن وحوشاً ستداهمه لتسلبه الحياة.

اتذكر ذلك اللقاء الأول الذي جمعني به قبل أشهر ولمست كم كان هذا الرجل متواضعاً بسيطاً فقد جمعنا هذا اللقاء في أحد أزقة صنعاء القديمة أثناء تواجده في هذه المدينة الفاتنة،وفي وقت كانت الشمس فيه حارقة طلبت منه تصريحاً عن إمكانية عودة الـ" giz " للعمل في مجال المدن التاريخية بعد أن توقف المشروع عام2011 م،أجاب بالقبول تحول التصريح إلى لقاء موسع تحت أشعة الشمس أخذ الوقت يسرق منا دقائقه، تذمر الحاضرون ولكن ميشائيل لم تفارقه الابتسامة لم أشعر أبداً بأنه منزعج، على العكس من ذلك كان متفاعلاً ومتحمساً ظهر ذلك من كلامه لاسيما عندما بدأ بالحديث عن الحضارة اليمنية والتاريخ الأصيل لهذا الشعب، وتعبيره الصريح عن الحزن والأسى للأخبار التي يسمعها من وسائل الإعلام حول أحداث عبث وتخريب تطال تاريخ وحضارة اليمن، كان يتحدث بحرقة دون تزييف أو مجاملة وكأنه يعتبر نفسه من أهل البلد.

عندما سألناه عن إمكانية عودة الـ" giz"للعمل في مجال الحفاظ على المدن التاريخية أم أنه سيقتصر على العمل في مجالات التعليم والصحة والمياه، أجاب وبكل صراحة «لا نعد بشيء وما نعد به أن نبذل قصارى جهودنا لإقناع الوكالة في المانيا على العودة للعمل في الحفاظ على المدن التاريخية».

وأثناء اللقاء كان البعض يحاول إنهاء المقابلة واقتراح أن تتم في وقت لاحق أو الاكتفاء بما تم التحدث عنه، إلا أنه كان يشير بأصابعه بأنه سيواصل الحديث، ويقول لهم لا مشكلة، وكانت حماسته وتفاعله يحمساني على المواصلة والمزيد من الأسئلة تفتحت أمامي بصورة لم أكن أتوقعها فقد وجدت نفسي أمام إنسان مطلع بل ويعرف الكثير عن تاريخ اليمن قدم الحلول والمعالجات، أبرز المناطق التاريخية، وضع المناطق والمدن التاريخية، نظرة المجتمع الدولي لتراث اليمن، أبرز الاحتياجات لتوظيف هذا التراث واستغلاله سياحياً،هذا اللقاء نشر في صحيفة الثورة.

يقول المختصون في هيئة الحفاظ على المدن التاريخية وفي مكتب" giz" إن السيد ميشائيل بذل جهوداً كبيرة لإقناع الألمان بعودتهم للعمل في مجال المدن التاريخية، وكان متفاعلاً جداً لهذه العودة وبمشروع جديد، وبالتزام شخصي منه فمثل هذه المشاريع تحتاج إلى بروتوكول أو اتفاقية توقع بين البلدين، ولكن فوجئنا قبل أسابيع بعودة الـ" "giz للعمل في المدن التاريخية وتدشينها مشروع جديد يستهدف بناء قدرات العاملين في المواقع التاريخية عبر برامج ومناشط وفعاليات ودورات تستمر لأكثر من عام، واتذكر أنه ألقى كلمة في تدشين المشروع تغنى فيها بتراث هذا البلد تاريخه .

لا أنسى عندما قال "تراث اليمن.. ثراء فرادة.. تميز.. عناوين عريضة لحضارة إنسانية عريقة" إلى أن قال "سنحرص على أن يكون هذا المشروع مفيداً للمدن التاريخية اليمنية، سيحظى باهتمام ومتابعة شخصية ومستمرة من لدينا.

وها نحن اليوم ننعي إنساناً أحب اليمن وأهله وبرحيله فقد التراث اليمني أحد رجالاته الفاعلين والساعين للحفاظ عليه، فكثيرون من يعبثون بهذا التراث وقليلون جداً هم المهتمون به ومنهم الصديق الراحل "ميشائيل" .. عزاؤنا للتراث اليمني والمدن التاريخية «صنعاء القديمة - جبلة - زبيد - شبام حضرموت وغيرها» والعزاء موصول لكل العاملين في مكتب الـ" "giz باليمن ومن خلالهم إلى الشعب الألماني الذي يحق له أن يفخر بهذا الرجل الإنسان.

الخزانة التي نهبت منها المخطوطات

قبة القشلة

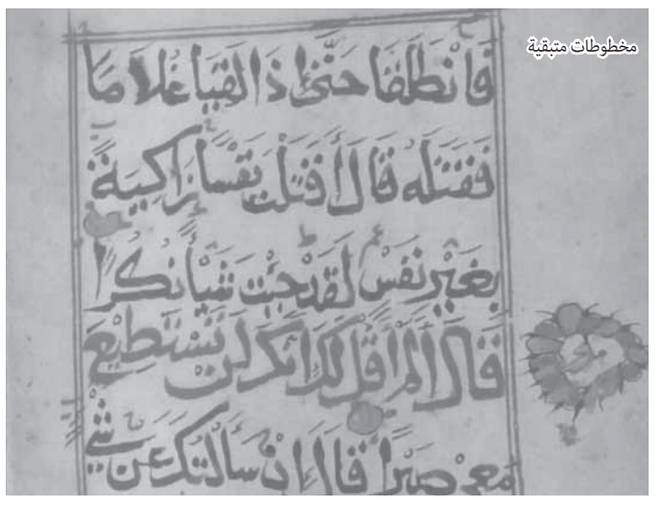
مخطوطات متبقية

«الثـورة» تنفرد بنشر أجزاء من تقرير لجنة تقصي حقائق سرقة مخطوطات في ريمة

> تتواصل الحلقات في مسلسل تخطى أطول المسلسلات المكسيكية المدبلجة حتى أننا بتنا نذهب في الاعتقاد إلى أن هذا المسلسل ليس له نهاية.. مسلسل عنوانه العبث والتخريب والسرقة تمارس واقعاً وليس تمثيلاً أو دراما، بحق تراث هذا البلد وحضارته.

حلقة جديدة تدور مشاهدها هذه المرة في محافظة كدنا نشيد بأنها بعيدة عن وقائع هذا المسلسل البغيض، الذي تتشابه أحداثه وأبطاله وتختلف مواطنه.

محافظة ريمة لم نسمع بأنها كانت يوماً مسرحاً للعابثين بهذا التراث وناهبيه ها هي اليوم تسجل حادثة قد تكون أقل وقعاً من حوادث أخرى نكب بها التراث اليمني في محافظات عدة ولعل آخرها ما تعرض له المتحف الوطني بصنعاء من سرقة لم تكن لتزاودنا حتى في الأحلام، لكن أن يصل العبث والتخريب والسرقة إلى محافظة ظلت محافظة على نظافة سجلها من هذه الأحداث، أمر يبعث على الحزن.. حيث تعرضت قبه قديمة يرقد فيها أحد الأولياء الصالحين إلى أعمال نبش وتخريب، أكدت المصادر أن هذه القبة كانت تحوي مخطوطات قديمة نهبت وسرقت منها والأدهى من ذلك وما يدعو للاستغراب أن هذه القبة تقع في معسكر قوات الأمن الخاص .. الأمن المركزي سابقاً، بمديرية الجبين، فما حقيقة هذه الحادثة، وملابساتها وكيف تعاملت الجهات المعنية معها، ومتى تمت وما هي المسروقات؟ أسئلة نبحث عن إجاباتها في الأسطر التالية.

"د.الأحمدي: علمنا بالحادثة من الاعلام ونهيب بالمواطنين إبلاغ قطاع المخطوطات بأي حوادث مماثلة"

تحقيق/ عبدالباسط النوعة

د. مقبل التام الاحمدي

عادل الحميري

بقول الدكتور مقبل التام الأحمدي- وكيل وزارة الثقافة لقطاع المخطوطات ودور الكتب- أنه وبمجرد معرفة الخبر تم تشكيل لجنة بقرار من وزير الثقافة للنزول الميداني إلى الموقع الذي تحدثت وسائل الإعلام عن تعرضه للسرقة، هذه اللجنة مهمتها استيضاح الحقائق ومعرفة الملابسات والالتقاء بالجهات المعنية في محافظة ريمة، وهذه اللجنة تم تشكيلها من المتخصصين والمعنيين منهم أمين عام دار المخطوطات المساعد ومسؤول ترميم المخطوطات في الدار ومدير عام الشؤون القانونية بالوزارة ومندوب من وزارة الداخلية.

قبة القشلة

وبموجب التقرير الذي رفعته اللجنة لوزير الثقافة ووكيل قطاع المخطوطات وحصلت الثورة على نسخة حصرية من هذا التقرير، فإن الموقع الذي تعرض للسرقة عبارة عن قبة تسمى "قبة القشلة" فيها قبر يعود تاريخه إلى سنة 1072للهجرة وينسب إلى سعيد بن معوضة الآنسي الفضلي وعليه تابوت خشبي قديم.

وأورد التقرير أن هذه القبة موجودة داخل معسكر قوات الأمن الخاص "الأمن المركزي سابقاً" في مديرية الجبين وهذا ما يثير الكثير من علامات الاستفهام والتعجب، هل وصل الحال إلى هذه الدرجة، يسرق موقع أو مكان داخل معسكر أمني؟؟!!

كما ذكر التقرير تاريخ وقوع حادثة السرقة وزمن نزول اللجنة وبين التاريخيين خمسة أيام حيث وقعت الحادثة في 30 نوفمبر الماضي في حين وصلت اللجنة إلى ريمة في الخامس من ديسمبر الجاري.

وفي هذا الصدد يؤكد الدكتور مقبل الأحمدي- وكيل وزارة الثقافة - أنه لم يعرف بالحادثة سوى من وسائل الإعلام وعلى الفور تم التحرك وبأسرع وقت ممكن حيث باشرت اللجنة عملها في الموقع بعد يومين فقط من الأخبار التي نشرت في عدد من الصحف وبعض المواقع ولم يتم حتى الانتظار لصرف تكاليف السفر للجنة من الوزارة لأنها ستستغرق وقتا طويلا ولهذا تم توفير تكاليف السفر على نفقة الوكيل الخاصة.

وهنا أشار الدكتور الأحمدي إلى نقطة هامة وهي أن معظم الناس ممن يقفون أو يشهدون سرقات في أماكن أثرية لا يتصلون بالجهات المعنية للإبلاغ عن هذه الحوادث وإنما يقومون بإبلاغ جهات ليست لها علاقة مباشرة بهذا المجال وهذا ينتج عنه الكثير من السلبيات، فمثلا في حادثة قبة القشلة بريمة تم معرفة السرقة عقب حدوثها بثلاثة أيام من خلال وسائل الإعلام وهذا بحد ذاته يجعل الضغط على قطاع المخطوطات شديدا من جهة محاولة إسكات الإعلام حتى يتم تبين الأمر ومن الجهة الأخرى ضعف إمكانية السيطرة على السرقة فبعد أن يتم إخبار وسائل الإعلام فإن اللصوص يتخذون كافة الإجراءات الكافية للاحتراز وبالتالي يكون هناك صعوبة على الجهات المعنية أن تتخذ وسائل سرية للوصول إلى المسروقات وإعادتها.

ولفت الأخ الوكيل إلى أن الأصل أن تبلغ الجهات الحكومية المعنية وإذا ما قصرت في واجباتها يتم إبلاغ الإعلام فالإعلام ليس جهة اختصاص بل إنه في بعض الأحيان يساهم في إتمام السرقة مثلا في حادثة سرقة المتحف الوطني ذكرت وسائل إعلام أن قيمة المسروقات تتجاوز مئات الملايين فهل سيعيد من قام بالسرقة هذه المسروقات وهي بهذا الثمن أم أنه سيزيد حرصه عليها ويتخذ المزيد من الاحترازات.

وحث الأحمدي كل المخلصين في هذا الوطن وهم كثر ممن يشهدون مثل هذه الحوادث التي تستهدف التراث إبلاغ الجهات المختصة بالتراث وقال: سنعمل على توفير أرقام مجانية للإبلاغ عن مثل هذه السرقات أو الاعتداءات التي تطال التراث.

نبش للعظام

أما فيما يتعلق بالمخطوطات التي سرقت من قبة القشلة بالجبين فلم يورد التقرير شرحا بما تمت سرقته باستثناء ما ذكره على لسان الدكتور محمد العروسي رئيس الهيئة العامة للآثار والمتاحف الأسبق وأستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة صنعاء أن هذه القبة كانت تحوي عشر مخطوطات منها أربعة مصاحف مزخرفة وست مخطوطات أخرى، وأن هذه المخطوطات كان الدكتور العروسي قد عمل عليها دراسة وافية ويحتفظ بصور فوتغرافية .

ويقول حارس القبة محمد غالب العروسي أنه في 30 نوفمبر الماضي جاء إلى القبة وبرفقته أحد العمال لغرض ترميم أو صيانة القبة وهي عادة يدأب عليها كل عام ولكنه وجد باب القبة مكسورا والقبر منبوش والعظام متناثرة والخزانة الخشبية التي كانت تحوي المخطوطات مكسورة ومبعثرة والتابوت واللوحات المكتوبة منزوعة من محلها، وعلى الفور بلغ إدارة الأمن وكل ما قامت به إدارة الأمن هو إخبار الحارس بأن يعيد كل شيء إلى مكانه وفعلا أعاد كل شيء إلى مكانه ولكنه أبلغ الدكتور العروسي.

وبدوره أوضح الأمين العام المساعد لدار المخطوطات بصنعاء وعضو اللجنة عادل الحميري أنه عندما وصلوا إلى القبة وجدوا بقايا لمخطوطات عبارة عن ورقة من صفحة الزبد ومجموعة مصاحف وأيضا مخطوطات ومطبوعات حجرية.

وأكد أنه ومن خلال الشواهد فعلا حدثت سرقة لهذه القبة وقد تكون المسروقات من المخطوطات أكثر وليس فقط المصاحف التي تحدث عنها الدكتور العروسي.

وعبر عن أسفه الشديد بأن تتم سرقة هذه القبة وهي بداخل معسكر أمني وبالتالي كان من المفترض أن تكون محمية بهذا المعسكر وأكثر أمنا من أي موقع تاريخي أو أثري في أية محافظة.

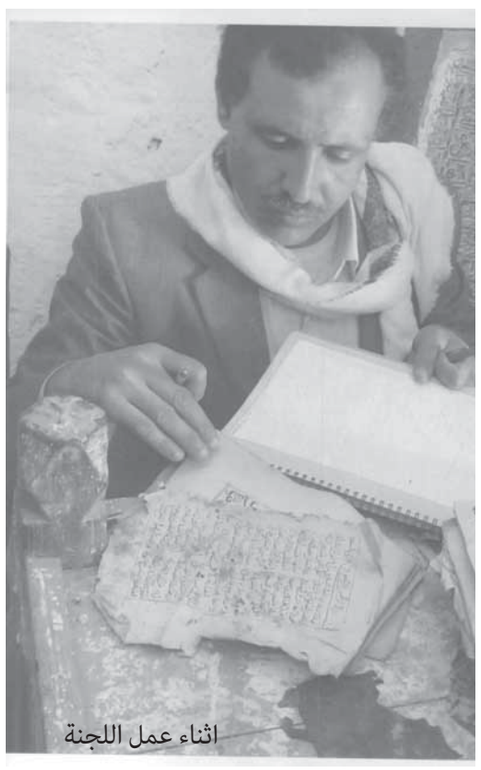
اثناء عمل اللجنة

"د.العروسي يؤكد سرقة أربعة مصاحف وستة مخطوطات متنوعة"